نبذة مختصرة
في حوادث لبنان والشام (١٨٤٠ــ١٨٦٢)

لشاهد عياني (تتمة)

(تنبيه) كنا ظننا في مقدمة هذه النبذة انَّ كاتبها المثلث الرحمات المطران يوسف فرحيان وقد افادنا حضرة الورتبيت باسيل قليموفيان في رسالة من القاهرة تاريخها ١٦ نوفمبر انَّ كاتبها المرحوم انطون خاتجيان خوري رعيَّة الارمن الكاثوليك في بيروت يومئذٍ . وان حضرة الكاتب كان انتسخ منها نسختين كانتا عند اخيه المرحوم دير مكرديج الذي استشهد بفذايح ماردين سنة ١٩١٥ . فنشكر لحضرته هذه الافادة التي تنفي ريبنا ونزيد ثقتنا بعلم كاتبها

الحادث السادس عشر

في اسباب فتنة دمشق واضطراب المسيحيين

قيل انَّ احمد باشا والي الشام عمل اتفاقاً مع خرشد باشا والي صيدا وبيروت في أن يقتل مسلمو بلاد سوريا النصارى فيقوم حينئذٍ مسلمو البلاد الأخر ويقتلون نصارى بلادهم وتصير ديانة واحدة في كل المملكة العثمانيَّة المحروسة

وقيل ايضاً عن المذكور انهُ قبل حدوث الفتنة باربعين يوماً صار يمنع النصارى عن الخروج الى البساتين والقرى حسب عادة المدينة في زمن الصيف . وكان يُظهر دائماً باقوالهِ انهُ مزمع ان تصير فتنة في المدينة واختباط كبير . ولهذا أصلح مدافع القلعة وكان يضرب احياناً المدافع لكي يرى الى اين تصل . وقصد ان يرفع عسكر النظام الى القلعة ليحفظهُ من الضرر . وقيل عنهُ انهُ مرارًا كثيرة سأل خرشد باشا في انهُ اذا صار فتنة في المدينة هل يضرب عليها المدافع ام لا

فمن هذه الاخبار وقع الخوف والاضطراب في قلوب النصارى . وليس من هذا القبيل فقط بل ومن قبل خراب حاصبيًا وراشيًا والقرى القريبة من الشام . ثم ومن قبل جبل لبنان وحريق قرى المتن والمناصف والشخار وساحل بيروت (٣٥) واقليم جزّين والعرقوب وغيرها من قرى النصارى هناك . وكان يوماً بعد يوم يزداد الخوف والاضطراب في الشام ولاجله طلب باشا العسكريَّة من احمد باشا ان يأمر في ان يطوف العسكر بكثرة في المدينة ليلًا ونهارًا لمنع الفتنة . ولهذا صار ترتيب في ان

كل كبير محلّه يحفظ محلّته التي يكون ساكن فيها نصارى. وان لزم الامر يستخدم عنده ناساً من شبّان المسلمين لنجاح حفظ النصارى. ومن ثمّ صار يطوف العسكر في المدينة اجراقاً اجراقاً في الليل كله وكان مع كل جوقة اناس من اكابر المسلمين. فهذا ترتيب كان سبباً كافياً لجهّال المسلمين ليقتنوا الاسلحة ظاهراً مدّعين انهم خادمون لغايات محلّات النصارى

واما السبب الكبير الذي اصدر الخوف في قلوب المسيحيين هو هذا ان احمد شا والي الشام لم ينزل الى الجامع الكبير لاجل الصلاة في يوم عيد الضحيّة الواقع في ٢ حزيران نهار الجمعة. وليس فقط لم ينزل بل ارسل عساكر احاطت بالجامع الكبير المذكور وكانوا مستلين السيوف ومستعدين للضرب. ولمّا سُئل عن سبب هذا العمل قال انهُ علم انّ النصارى في ذلك اليوم كانوا مزمعين ان يهجموا على الجامع الكبير ويقتلوا المسلمين وبهذا الخبر صار قلق عظيم بين المسلمين وهمّوا لقتل النصارى. واما المسيحيّون فاصابهم الخوف الشديد وعسكر في قلوبهم ولاجله عدموا رقاد الليل ولذّة الاكل والشرب وكفّ عنهم كل ما لهم من [illegible] وصار يوم الحزن لهم. فصاروا حالاً يخرجون في النهار من بيوتهم وفي الليل كانوا يجتمعون عند بعضهم بعض متحادثين بهذا (٣٦) الامر وينتظرون متى تكون نهايتهُ وكيف سيتمّ. الاضطراب الاكبر الذي ادرك المسيحيين هو حين وصل خبر زحلة ودير القمر وان دروز انتصروا على النصارى بالنوع الذي ذكرهُ. ومن ثمّ سقطت قلوبهم في جبّ الحزن ووافاهم الكدر العديم التعزية وصاروا في حال اليأس العظيم. وان المسلمون رحموا كثيراً من قبل هذا الخبر. واشتدّ عزمهم للفتك بالنصارى وصاروا يترقبون فرصة

ولهذا اخذوا يعملون صلباناً من ورق ويرمونها في الطرقات ويصوّرون ايضاً من الخشب صلباناً يلقونها على الارض وعند اجتياز النصارى كانوا يلزمونهم بالدوس عليها. الذي ما كان يدوس على تلك الصلبان كانوا يهينونهُ ويضربونهُ كثيراً. ولمّا كثر هذا الخبر وشاع في المدينة كلها أخبر احد النصارى الوالي بذلك وهو ارسل وقبض على خمسة عشر شاباً من المسلمين الذين نظروهم يعملون صلباناً ويلزمون النصارى بالدوس عليها. وبعده في ٦ تموز اخرج منادياً ينادي في المدينة قائلاً: من قبل افتدينا

احمد باشا والي النعم الخ أمنٌ وامان لا احد يخاف من شيء. كلّ انسان يذهب الى عمله والحوانيت تُفتح ويصير البيع والشراء. ولا احد عاد يحمل سلاحاً الخ. فمن هذا القبيل امنت النصارى وصاروا يخرجون الى الطرقات. وفي اليوم الاثنين الواقع في ٩ تموز مضوا جميعاً الى الاسواق والحوانيت. ففي اليوم المذكور امر احمد باشا ان الشبان المسوكين لاجل عمل الصلبان يوضع في ارجلهم قيد الحديد ويمضوا بهم ليكنسوا الارض في محلات النصارى. واذ اكملوا امرهُ وبلغوا بهم الى المكان المدعو طبالع القبة حينئذٍ هجمت عليهم (٣٧) المسلمون وقصدوا أخذهم. واما العسكر المحافظون فقاوموهم وما ارادوا تسليم المقيَّدين. ولكن لمَّا سمعوا صوت المدفع المقرَّص من القلعة حينئذٍ تركوا المقيَّدين ومضوا. فالمسلمون اخذوهم واطلقوهم. ومن تلك الساعة صاروا يضربون النصارى بالعصي والسيوف ويبدأوا بالقتل والنهب والحريق ويقوا مثابرين على ذلك الى اليوم السادس عشر من الشهر المذكور

الحادث السابع عشر

في كيفية ذبح الرجال

تبًّا لها من ضيقة ومصيبة التمّت برجال دمشق المسيحيين من ذا الذي يقدر ان يصوّر حال اولئك المرثي لها. لعمري لا قلم ولا لسان يقدر ان يصف ذلك بكفاية حتى ولا احد يقدر ان يتصوّرها بدون النظر عياناً. فكنا نرى الرجال يركضون وهم حفايا متعرّون طالبين الهرب وما كانوا يجدون لهم باباً ولا سبيلاً وكانوا يبكون كالاطفال بدموع وعويل كثير. وكنت تراهم كالسكارى والسائحين لا يعقلون شيئاً من الصواب لتدبير حالهم وكأنهم عميان لا علم لهم اين يذهبون من جهة اعدائهم. والبعض منهم كانوا مختبئين واعضاؤهم ترجف على الدوام وقلوبهم تخبط في وسط احشائهم الليل والنهار. والسنتهم كانت ناشفة يابسة عديمة الحركة في افواههم. واعينهم شاخصة واوجههم مكسودة كالاموات. وكانت على مرور الاوقات تأتيهم غمرات المنون صادرة من قبل اصوات اعدائهم وهجماتهم المترادفة. وكانوا يرهبون صفير الارياح (٣٨) ونبيح الكلاب. وكانوا عديمين الحركة والتنفس لا يأكلون ولا يشربون حتى ولا ينامون ولا يغطون. والمكان الذي كان يقدر ان يحتوي على عشر

نفوس كان يختفي فيه مائة نفس وهم قيام على ارجلهم بازدحام شديد في زمن حرّ شهر تموز

فيا لها من ايام مكدرة وليالي محزنة! ويحاً لمن ابتهج بها ونوحاً على من وُجد فيها! ترى كم من الصراخ! ترى كم من النحيب! كم من الندب والبكاء الاليم! الان المسلمين كانوا يمسكون رجال النصارى وبنيهم معاً ويذبحونهم بعضهم فوق بعض جاعليهم كراديس كراديس كأنهم تلال من الحجارة. وكانوا يقطعون البعض منهم بسواطير القصّابين كما يُقطع لحم الغنم. والبعض كانوا يقطعونهم بالبلطات التي يُقطع بها الحطب. والذين كانوا يهربون من ايديهم الى السطوح العالية والبعيدة منهم كانوا يصطادونهم برمي الرصاص. والذين كانوا يختفون في البيارة العميقة من المياه كانوا امّا يموتون من شدّة الخوف والجوع ورطوبة المكان ام كانوا يخرجونهم خارجاً بجيل الامان ويقتلونهم او كانوا يميتونهم بانواع شتى من الاحتيال وهم في مكانهم. والذين كانوا يهربون خارج المدينة كانوا يجدون الدروز والعرب الداخلين اليها فيقتلونهم وكثيرون الذين ماتوا من شدّة الخوف ومن ضيقة فيجب تأ الطريق

خبرونا عن الشيخ [illegible] اليوم الاول [illegible] ذبح النصارى قليل اشاع خبراً في انّ النصارى قتلوا اثنين من المسلمين وان ذ[illegible]ري القدس مزمعون ان يهجموا على المدينة لذبح (٣٩) المسلمين. ولهذا ارسل ايسهُ واستدعى مسلمين الصالحية لاعانة مسلمين الشام. ومن هذا القبيل كثر ذبح النصارى في اليوم الثالث والرابع حتى يقي الى اليوم ١٥ تموز. فصار عدد الذكور المقتولين من مسيحيين دمشق اكثر من ثلثة آلاف نفس عدا الغرباء والناس الغير المعروفين. ولكثرة ازدحام اجساد المقتولين فسد الهواء من رائحتهم وانتن التراب من دمائهم. ولذلك صار المسلمون يحرقون تلك الاجسام ويرمون منها في الانهر والبيارة. فكنت ترى اجساد الناس على وجه المياه كأنها الواح من الاخشاب تأخذها المياه حيث تشاء وتريد

الحادث الثامن عشر

فيما ادرك النساء بتلك الايام

انّ حال مسيحيين دمشق الجزيلي الاحتشام والادب حقاً لا يوصف بلسان ولا

يحرّر بقلم لانك كنت ترى الشّات مع الجواري البتولات يبكين مع العجوزات نادبات على اولادهنّ ورجالهنّ واخوتهنّ المذبوحين امام اعينهنّ واللاتين تجاههنّ . وكنت تراهنّ خفايا ومكشوفات الرؤوس وليس عليهنّ ما يسترهنّ عدا القليلات منهنّ لانّ اعداءهنّ كانوا يمسكونهنّ ويأخذون ملابسهنّ والذي كانوا يتركونهُ لهنّ كانوا يحرّقونهُ عارًا لاحتشامهنّ وكانوا يفتشونهنّ على المال بفحص مدقّق ليس في الجيوب والزنانير فقط بل في اجسادهن دون حياء . (٤٠) وكانوا يضربونهنّ قائلين : اريدنا رجالكنّ وما الكنّ وإلّا سنذبحكنّ كالرجال . ويا ليت هذا فقط كان مصاب الناس بل قد زادوا شرًّا بافتعالهم القبايح مع البتولات والنساء الاديبات . الامر الذي لم نسمعهُ عن الدروز والمتاولة

خبّرونا عن احدى سيّدات النصارى الدمشقيين الجزيلة الاحتشام انّها كانت هي ورجلها مختبئين عند رجل شريكيسا الذي كان يعيش من فضل مالها . فهذا الرجل المحافظ تقدّم الى الامرأة وقال لها : يا ست ارغب منك اليوم ان تعملي لنا طعاماً لآكل من طبخ يدك . اجابتهُ الامرأة بقولها : يا سيدي وان يكن لم اطبخ قط ولكن اكراماً لجنابك اطبخ الطعام الذي تأتوني به . فلمّا كانت الامرأة تهيّئ الطعام طلع الرجل الى العليّة حيث كان زوج الامرأة مختبئاً فذبحهُ وقطّعهُ اربباً اربباً وغطّاه بلحاف واستدعى الامرأة ولمّا جاء بالطعام واكل وشبع قال لها : ها هوذا زوجك تحت اللحاف انظريه . فعند مشاهدتها لزوجها على الحالة المذكورة اخذت تبكي وترتجف . حينئذٍ قال لها الرجل المحافظ : ما لكِ تبكين وهجم عليها وعرّاها . ولكن لمّا رأى موتها اسهل لديهِ من سلب احتشامها يئس وقتلها من الحصول على غرضهِ وقطّع جسدها من الجروحات والقاها هكذا عريانة الى خارج دارهِ من نافذة تلك العليّة (٤١)

ثمّ قد فُقد نساء وبنات كثيرات ولم يُعرف اين اتوهنّ . فقط حُكي عن ثلث بنات انهنّ قُدّمن من المسلمين هديّةً لاحمد باشا والي الشام وان المذكور اخذهنّ مع نسائه لما خرج من الشام يوم عزلهِ . ثم ايضاً قُتل من النساء مقدار عشرين او ثلثين واحدة حين كنّ يحامين عن موت اولادهن او رجالهن . وايضاً بعض النساء متنّ من مجرّد الخوف وكثرة الضيقات وماتت غير نساء من قبل السمّ الموضوع في الطعام

المقدَّم لهنَّ احساناً وكثيرات اللواتي استطعن اولادهنَّ قبل الاتلاد

الحادث التاسع عشر

في اخذ مال النصارى

ان كنا نضع هنا كمِّيَّة مال المسيحيين المأخوذ من كل واحد بمفرده حقاً لا يسعنا هذا المختصر. وان وضعنا الجملة بكمِّيَّة واحدة ربَّما يبين ذلك ضرباً من المبالغة. فاذاً نقول انَّ المسلمين في دمشق خطفوا كل مال النصارى واخذوا كل اقتنائهم وتركوهم جميعاً يحتاجون للقوت اليومي والكسوة الضرورية. ليت شعري هل احد يشك في كثرة غنى مسيحيين دمشق؟ لا لعمري لانهم قديمون في مدينتهم من زمن السيد المسيح ومهذَّبون بالصنائع والآداب الحميدة ولطف الاخلاق وحسن العشرة وكثرة العلوم الامر الذي لا يمكن نجاحه بدون غنى وافر وعقار ثابت. ثمَّ متاجرهم واضحة في العالم ومتصلة ليس في بلاد سورية وافريقية والاناضول فقط بل ممتدَّة حتى الاستانة وبلاد اوروبا. [illegible] خبرة وبرهم العامر وبراحة الوفرة ثباتهم في معيشتهم وعلى وجه الخصوص خبرة تاجرهم. فهؤلاء الاغنياء المترفو العيش قد افتقروا وصاروا يتوسلون القوت الضروري والكسوة ويرقدون على التراب. وليس هم فقط بل وكهنتهم ورؤساؤهم وكنايسهم قد افتقروا ايضاً لان الكهنة والرؤساء لم يأخذوا في هرجهم شيئاً من مال الكنائس ومن ثمَّ المسلمون افرغوا الكنائس كلها من مالها ومن الزينة التي تجملها قبل ان يحرقوها

خبرونا عن كنيسة الروم المريمية انها كانت غنيَّة جداً لكونها قديمة اكثر من جميع الكنائس وقيل انها معمورة في زمن الايام عمر وباذنه. ولذلك كان فيها اواني ثمينة وقديمة الايام مقدَّمة لها من الملوك المسيحيين وغيرهم. وكذلك المسلمون اخذوا مال كنيسة الروم الثانية ومال كنيسة الروم الكاثوليك ومال دار بطريركيَّتهم ومال كنيسة السريان ومال كنيسة الموارنة وايضاً اخذوا مال الدير الكبير وكنيسة اللاتينيين التي هي قبل كل كنائس الكاثوليكيين في الشام. ومثلهُ نهبوا دير الآباء المازاريين المشتهر بالغنى ومال كنيسته ايضاً. ثمَّ اخذوا مال دير الآباء الكبوجيين

خبرونا عن احد الكبتة انهُ لشدة خوفهِ من الموت التجأ الى دار البيك الموصلي وقدَّم لهُ هدية دراهم نقدية قدرها عشرة آلاف قرش وتضرع اليه ان يحفظ نفسهُ من الموت. (٤٣) والبيك المذكور حفظ القس داخل دارهِ ولمَّا علم انهُ بعد معهُ عشرة آلاف اخرى اخذها منهُ وقتلهُ

واخيرًا نقول ان مسلمين الشام لم يتركوا شيئاً من مال النصارى لم يأخذوه لانهم لم يكتفوا بأخذ المال والامتعة بل قد اخذوا حتى حديد شبابيك البيوت وأقفال ابواب الدور والمسامير الواقعة من الاخشاب بعد الحريق . وليس هذا فقط بل وبعد مرور تلك الستة لايام التي كانوا مشتغلين فيها على قتل المسيحيين واحراق دماشهم بقوا الى اليوم الحادي عشر من الفتنة الذي هو في عشرين تموز يفتشون باحثين في ديارة دور النصارى ويحفرون الاراضي في بيوتهم ليجدوا ما كان تحت الردم او مخبئاً . فتبًا لهذا البخل ولا نبالغ ان قلنا انَّ كمية مال نصارى دمشق المأخوذ ثلاثمائة الف كيس وينيف

الحادث العشرون

في حريق كنائس الشام ودور المسيحيين

ان بغضة اعداء النصارى في الشام قد اماتت كثيرين منهم . وعدم عفافهم قد اشتهر في زمن تسلطهم . ومن طمعهم لم يكتفوا بمال مسيحيين دمشق بل دفعهم بغضهم الى ان احرقوا بيوتهم ودورًا وكنائس وخوانيت كثيرة . فنارُ الحريق ابتدأت من قرن قريب دير الآباء الفرنسيسكانيين الملقب بالكبير فاحترق قسم من الدير المذكور والذي يليهِ من مدارس البنين والبنات وبيمارستانات المرضى . وكان هذا الدير فريد البناء والاركان ومتَّسع جدًّا وليس لهُ شبيهة في مدينة الشام (٤٤) كلها

واحترق ايضاً بعض دير الآباء الفرنسيسكانيين الملقب بالكبير فقتلوا كهنتهُ فيهِ وكان عددهم ثمانية وهم من رهبان مار فرنسيس وقيل ان احدهم ذبحوهُ في الكنيسة فوق المذبح الكبير . وذبحوا ايضاً المرحوم فرنسيس مسابكي الذي كان

مختبئاً عند الرهبان المذكورين. وقيل عنهُ انهُ قبل ان يقتلوهُ كأسوه ليُسلم فما قبل وقال لهم: انني انا رجل مسيحي لا اترك ديانتي بل اريد اموت لاجل المسيح باسم الآب والابن الخ. وبعد ذلك ذبحوه(١ ومعهُ غير اناس ايضاً. ثم حرقوا دير الآباء الكبوجيين وبعض الكنائس وقتلوا من قسوس السريان كاهناً كان خادم احدى القرى. وحرقوا ايضاً كنيستي الروم وكنيسة الروم الكاثوليك ودار البطريركية وقتلوا من كهنة هذه الكنائس ستة عشر او سبعة عشر كاهناً. فيكون عدد الكهنة المقتولين ستة وعشرين كاهناً او خمسة وعشرين. وامتدَّ الحريق الى كل دور النصارى ومحلاتهم فلم يسلم الَّا القليل منها بل انَّ الدور التي هي بين مساكن الاسلام كانوا يهدمونها بالمواعيل لكي لا يمتدَّ الحريق الى بيوت المسلمين. ونار الحريق بقيت مشتعلة تحرق مساكن النصارى احد عشر يوماً والمسلمون كانوا يوقدونها على الدوام. ومن ثمَّ ما بقي للنصارى مأوى يلتجئون اليه. وقيل انَّ بعد ثلثين يوماً من ذلك حرقوا بيوتاً كانوا تغاضوا عن حريقها. فكنت ترى تلك المحلات كأنها اتون متقد يرتفع لهيبهُ فوق اعلى المدينة ويحجب بدخانه شعاع الشمس(٢ في وسط النهار. فيا لطيف من ذا الذي يطلع على هذه الحال بلا يرق ... !

الباب الحادي والعشرون

في اهانة ديانة النصارى

انهُ لعمري ما كان صدر من مسيحيين دمشق افتراء ما نحو المسلمين ولا جملة استحقوا هذه المقاصة الشديدة. ثم لم يكن حدث فيما بينهم قبلاً وقائع واهراق دم... فلماذا اذاً هذا العمل؟ قيل انهُ كان صادراً عن اختلاف الديانة فقط لكون المسلمين في زمان الفتنة كانوا بوجه العموم يغصبون المسيحيين رجالاً ونساء ليُسلموا لكي يبقوهم في قيد الحياة. والذين اسلموا وقتئذٍ على هذا النسق سواء كانوا رجالاً ام نساء قد بقوا احياء بين المسلمين. ومنهم من اكملوا فيهم سنن المذهب الاسلامي وعملوا لهم فرحاً كبيراً وداروا بهم شوارع المدينة مركبينهم على الخيل وكانوا

١) هو الشهيد الذي أطلق بطوبيو حديثاً مع اخويه عبد المطي ورفائيل والرهبان الفرنسيسيين الثلثة

يضربون قدّامهم بالدفوف

ثمّ ان المسلمين ليُعطوا برهاناً ان الذي فعلوهُ بالنصارى كان بغضاً واحتقاراً لديانة المسيحيين لم يضرُّوا باليهود ولم يوصلوا لهم اذيةً البتّة مع انهم جسورون وذات لسان طويل خلافاً ليهود غير مدن. وليس لم يضرُّوا بهم فقط بل وقد اعطوهم اتّساعاً ليضرُّوا هم ايضاً بالنصارى بما يستطيعون. فكان اليهود يتبعون المسلمين في كل مكان يذهبون اليه لضرر النصارى وكانوا يقدّمون لهم الماء بكثرة على مرور الاوقات ممزوجاً بالسكر وماء الليمون وماء الورد الخ (٤٦)

ثم ان المسلمين كانوا يأخذون الصور والصلبان والقربان ويلاشونهم باهانات لا توصف. وقد اخذوا جرس احدى الكنائس واجتمعوا في شارع في المدينة وملأوا الجرس من ذبل البشر وجاءوا بالصليب وصاروا يغمسونهُ فيه ويلفظون بما لا يليق وبعد ان كسروا الصليب والجرس جعلوهما في مكان الفروغ اي الكنيف

في تلك الايام المذكورة جاء تحرير من حمص وحماة ان المسلمين تحرّكوا ليفتكوا بالنصارى ولكن الوالي قد منع ذلك اذ استدعى الفريقين وسأل عن سبب التغور وعلامات حركة الفتن. حينئذٍ اجاب المسلمون انّ النصارى فاتوا الحدود وصاروا يضربون الجرس فوق رؤوسنا. فالوالي امر وقتئذٍ النصارى ان يأتوا بالاجراس ويكسروهم امامهُ اختيارياً بايديهم. ولمّا اكملوا امرهُ بسرعة وسرور اصطلح الفريقان ومضوا فرحين وسُكنت الفتنة. وقيل انّ حركة حمص وحماة كان سببها تحرير وارد لهم من مسلمين الشام وهنا نضع صورتهُ كما وردت الينا :

صورة كتاب وارد من الشام الى حمص وحماة

انّ النصارى من بداية حكم السلطان عبد المجيد يفكّون رباط الشريعة المحمّديّة ويتخطّون الحدود ويتجاوزون الشريعة والرسومات المرسومة عليهم من اقدم الزمان من حضرة الامام عمر بن الخطّاب. وبدأوا في هذا الوقت يغيّرون الاسلام ويضرُّونهم في دياناتهم وما شابه ذلك. والحكم صار يصدر في الرفع والوضع على الاسلام وجلّ مرامهم ان يخلّوا (٤٧) محل الاسلام وهم لا يعلمون بان الاسلام عمّال يدبر على استئصالهم وقلع جرثومتهم (كذا) وذلك بوجوه شرعية: (الوجه الاول) قد حلّ دم النصارى وعرضهم ومالهم وحرق كنائسهم وخراب بيوتهم بسبب دفع الجزية. (الوجه الثاني) جملة من الفتوات (الفتاوي) المفتية وغيرها أتت بالامر القاطع بانه لا

يجب على الاسلام تقوية النصارى ولا القيام لهم ولا الهدية ولا عزّ للنصارى اتباعاً لما قالهُ سيد الاوّلين والآخرين في النصارى واليهود. فامن الله من لبسهم ثوب عزّ. (الوجه الثالث) لا يجوز شهادة النصارى بل تجوز شهادة النصيريّة على النصارى تطبيقاً لقول الشرع. وتذكركم بقوله تعالى «لا تحبّوا ملّة الكفر والتينا بينهم البغضة والعداوة الى يوم القيامة». فيا معشر الاسلام فيقوا من نومكم وهلمّوا الآن لنبيد جنس عبّاد الصليب من هذه البلاد المقدّسة التي تحبوها ولا يعود يذكر اسم النصارى في هذه البلاد. وعلى ما تحقّقنا من المأمورين العظام بان الدول لا يمكنها الآن فتح الحروب لكونها عُدمت في حروب القريم هذا وقت اغتنام الفرصة ووقت غلبة الروم. الآن يوم خراجهم قد دنا لان اعمالهم كل ما لها تتزايد بالمظاهرة وان تركناهم سنتين يقووا علينا ويأخذوا اماكننا ويعدموا جنسنا. فمن جرى ذلك ابتدينا الآن بالمظاهرة والتداخل مع المأمورين. واطّلعنا على الحركات الواقعة بالاستانة (٤٨) في العام الاوّل وهي هذه: (اوّلاً) اغلب رجال الدولة عقدوا وأي سرّي بان يبيدوا النصارى مع السلطان وكل من يأخذ بيع على وجه الارض لسبب ان السلطان زائغ عن الشريعة الاسلامية يضع الصور في محلّه وصورته كذلك مخالفة قرق رأسه. (ثانياً) يضع هدية الاوروباويين في عنقه المرسوم بها علامة النصارى واشياء مثل هذه تنكّر مذهب الاسلام. وان تركناه لرأيه نظرًا الى الملحوظات الظاهرة منهُ يبيد مذهب الاسلام فعندها حصلت مذاكرة سرّية من مدّة سنتين بين وزراء وعلماء ووجوه الرعايا فتوا رأيهم على ما تقدّم اتفاق القصد بإعدام السلطان ومن يأخذ بيع ووضع اخيهِ في محلّه كون رأيهُ مثل رأينا ويريد دين أجدادنا [illegible] وان قصدهم لا [illegible] على شعاع يوم صيرورة [illegible] الافرنج وهم الذين [illegible] الاوروباويين ويبطلوا سعادهم وحركات ضد الاسلام الحيا [illegible] يوجد فيهِ مائتين الف متجرّدين من قدم الزمان ومشهورين في كل حركة ولا يقدر احد يدخل الى سوريا الّا بمساعدتهم. والآن صايرة رابطة كلية بينهم وبين الاوروباويين بادخالهم الى هذه البلاد. ونحن لمّا تحققنا ذلك من كل الجهات تحاربنا مع الوزراء والعلماء فاذًا...(١)

حُكي عن ولد نصراني يافع السنّ ابن ثلث عشرة سنة انهُ حين مسكوهُ ليذبحوهُ بدأ يبكي ويصيح بصوت حزين (٤٩) ومن ثمّ تمهّلوا لقتلهِ وقالوا لهُ «أسلم لتخلص» فالولد غيّر كلامهُ وقتئذٍ وبدأ يصيح بصوتٍ عالٍ: «انا مسيحي كاثوليكي انا مسيحي كاثوليكي». وفي وقتهِ رجل مسلم كامل السنّ مدّ يدهُ واخذهُ ورماهُ خارج ذلك الجمهور. وفي اثناء طفق ذلك الولد يركض كانهُ طائر فرموا بهِ الرصاص بكثرة ولم يصبهُ شيء البتّة ولم يقدروا يجدوا لهُ اثرًا كليًّا(٢)

١) تركنا هذه الرسالة بتصاميم ما فيها من العسف بحقّ النصارى وبحقّ السلطان عبد المجيد

٢) هذا الولد كان نعمة بن عبد المعطي اخي فرنسيس معاركي الشهيد.